فرنسا (المحاضرة الحادية عشر)

اسرة كابيه 987-1328

يمكن اعتبار فرنسا كألمانيا وليده معاهدة فردون سنه٨٤٣.واصطلى القطر بنار الحروب الأهلية طيلة القرن العاشر حول التسابق من اجل العرش. والاسرتان المتنافستان هي الأسرة الكارولنجيه واسره ادوكونت باريس والتي أصبحت تعرف بالعائلة الروبرتيه هذا وقد انتهى حكم الأسرة الكارولنجيه في فرنسا عَلَى اثر وفاه اخر وريث كارولنجي مباشر سمه ٩٨٧ الا وهو شارل الخامس لذا عقد النبلاء مؤتمر في سنلس أسفر عن انتخاب هيو كابيه ٩٨٧-٩٩٦ ولم يتميز حكمه بشيء هام سوى استخذائه لأمراء الإقطاع واضطر الى توزيع ما لديه من ممتلكات خاصه للأخرين املا في كسب الأعوان ثم تلاه روبرت الثاني ٩٩٦- ١٠٣١وهنري الاول ١٠٣١-١٠٦٠ولم يحدث في عهديهما حوادث تستحق الذكر اما فيليب الاول ١٠٦٠-١١٠٨فقد حاول توحيد املاك التاج الممتدة من باريس الى اورلين وتمكن قبيل وفاته من استرداد قلعه مونتيري عَلَى مقربه من باريس وتعتبر فتره حكمه (فاتحه عهد جديد في تاريخ الملكية الفرنسية) كما سيتوضح ذلك فيما بعد.

كانت فرنسا فعليا في القرن الحادي عشر تحت حكم الاقطاعيين وليس للملك فيها سلطه عمليه ولم يكن أمراء الإقطاع هناك عَلَى شاكله واحده في القوى والإدارة فلم يكن باستطاعة أمراء اكويتين فرض السيطرة عَلَى مناطقهم الوعرة لذا فتمرد الاتباع فيها من الأشياء المألوفة اما الدوق برغندي فكان أشبه في وضعه بأمير اكويتين فأكثرية اتباعه لاهم لهم سوى السلب وقطع الطرق في جبال الالب وكانت دوقيه بريتاني الى حد ما في عزله عن فرنسا في التراث والمعالم الطبيعية اذ ان سكانها من أصل كلتي لهم عاداتهم ولغتهم واعتزازهم بماضيهم بالرغم من فقرهم المدقع غير ان اماره أنجو كانت تتمتع بشيئ من الاستقرار والإدارة الحازمة اما امارتي

شابين وبلوا كانتا في فوظى مزمنة ومن أغنى مناطق الجنوب اماره طولوز خاصه في القرن الحادي عشر وما تلاه نظرا لاستئناف التجارة في البحر المتوسط ومع ذلك فلها ثقافتها الخاصة التي هي اقرب الى اسبانيا وايطاليا منها الى فرنسا ومن اهم الإمارات التي احتفظت بحكومات إقطاعية قويه هي نورمندي وفلاندرز ان الأجزاء الشمالية الفرنسية في القرن الحادي عشر اهدأ بصوره عامه من الاقسام الجنوبية ومن اهم ما يلاحظ في تلك الفترة في كافه الإرجاء تقريبا زياده النفوس الناشئة عن قله الوفيات وكذلك هجره الفرنسين الى أنحاء أوروبية اخرى سواء عن طريق الهجرة السلمية او المسلحة وأخذ رجال الإقطاع هناك يحرضون فلاحيهم عَلَى الهجرة طلبا لأراضي جديده وشاهد القرن إعداد كبيره من الفرسان ورؤسائهم تهاجر شرقا الى المانيا او الجنوب الشرقي الى إيطاليا او الجنوب الى اسبانيا او غربا الى البرتغال فا السلالات الحاكمة في البرتغال فالسلالات الحاكمة في البرتغال في الأدوار الاولى تنتمي الى أصل برغندي، ويعتقد بعض المؤرخين انان هجوم وليم الفاتح الى إنكلترا من مظاهر ذالك التوسع الفرنسي وكذلك الهجرة النورمنديه الى الاقسام الإيطالية الجنوبيه ولم تكن المؤسسة الملكية الفرنسية ذات شأن حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر ومع ذلك لم تدخر وسعا في انتهاز الفرص للظرب عَلَى أيدي الاقطاعيين وتوسيع صلاحيتها عَلَى قدر الإمكان وهناك عوامل متعددة ساعدت الملوك في هذا المسعى منها 1- .بالرغم مما وصلت اليه تلك المؤسسة من ضعف فلم تزل ترمز آنذاك الى ماضي فرنسي مجيد فهي ميزات كلوفس وشارلمان وان ملوك فرنسا لهم السيادة العليا بصوره نظريه عَلَى الاقل عَلَى فرنسا من الفلاندرز شمالا حتى لبرانس جنوبا ومن الأطلسي غربا حتى الراين شرقا 2-تقع املاك التاج في منطقه استراتيجية خطيره فهي في وسط فرنسا التي تشرف عَلَى اهم طرق المواصلات هذا بلاضافه الى شهره باريس وعظمتها عند

الفرنسين-3 .أصبحت الملكية ملاذا الطبقة المتوسطة الناشئة في المدن ضد. تعسف الاقطاعيين -4التحالف الوطني بين التاج والمذبح او بمعنى بين ملوك فرنسا والبابوات او بين الكنيسة والدولة وادت تلك العلاقات الإيجابية الى تساهل البابوات مع رؤساء الدين في فرنسا والموافقة عبى منحهم الامتيازات اداريه في القضايا الكنسية وكان من مصلحه ملوك ذلك القطر فيما بعد الاحتفاظ بهذه الامتيازات والعمل عَلَى زيادتها واخد رجال الدين في فرنسا ينظرون الى الملك وكأنه حاميهم الأعلى ونتيجة لهذه العلاقات بين رجال الدين والبابوات وبين رجال الدين وملوك فرنسا نشأ الاتجاه القومي في الكنيسة والكاثوليكية والمسمى بالاتجاه الغالي ويجب ان لا يفهم من هذه التسميه ان هناك خلافات بين روما والكنيسة الغالية اذ بقت الثانية مخلصه في قضايا العقائد الدينية في كنيسه روما. ولم يحاول ملوك فرنسا طيلة تاريخهم الانفلات من الفلك البابوي بالرغم مما كان بينهم من مشاكل وهناك عوامل اخرى ساعدت عَلَى شد ازر المؤسسة الملكية في فرنسا تلاحظ في سياق فترات ذلك القطر

فيليب الاول ١٠٦٠-١١٠٨

حدثت في عهده حادثتان هامتان الاولى غزو وليم امير نورمندي لإنكلترا سنة 1066 وبذالك تخلص فيليب من أقوى الاتباع لانشغاله بمشاكل ذلك القطر كما أدى ذلك الفتح في المدى البعيد الى استيلاء ملوك فرنسا عَلَى الممتلكات النورمنديه في فرنسا والثانية هي الحملة الصليبية الاولى التي جرفت عددا لا يستهان به من أمراء الإقطاع الفرنسيين الى الاراضي المقدسة.

لويس السادس ١١٠٨-١١٣٧

قضى حياته مدافعا عن الاملاك الكنسية في أراضي التاج والحد من نشاط اتباعه المتمردين في تلك المناطق وقد اصبح اخيراً صاحب السلطة الفعلية في املاك التاج وقيل عنه انه موفق في الاعمال البوليسية اكثر من أعماله السياسية ومع ذلك فلم يتمكن من فرض سيطرته عَلَى الاراضي الفرنسية خارج الاراضي الملكية ولم يحاول استغلال الصراع بين هنري الاول ملك انكلترا وروبرت أمير نورمندي لمصلحه بلاده غير انه حاول فيما بعد عبثا بعد مؤازره المدعي بدوقيه نورمندي وجرَّت عليه. هذه السياسة الحرب مع إنكلترا كما ان محاولته ضم فلاندرز الى أملاكه عادت عليه بخسران ماله من نفوذ هناك كذلك ساءت علاقته مع إمبراطور امبراطوريه الرومانية المقدسة هنري الخامس حيثما ساعد البابوية في كفاحها ضد الإمبراطورية وهدد الأخير بغزو فرنسا سنه١١٢٤ .اظهر لويس السادس حزما اداريا في املاك التاج وأشار سوجيه واضع كتاب تاريخ حياه لويس السادس بأن الملك عمل دراسة وافيه لا حوال السكان عَلَى اختلاف طبقاتهم توخيا للعدالة في الحكم وأيدته الكنيسة تأييدا فعالا ووضعت تحت تصرفه ما لديه من خبراء في الإدارة والحكم ومن اهم الشخصيات الدينية سوجيه وقد تمكن لويس من إقناع الينور ورائه اماره اكويتين من الزواج من ولي عهده وتعتبر تلك الدوقية من الأجزاء الفرنسية إلهامه اذا تبلغ مساحتها حوالي ربع مساحة المملكة.

لويس السابع ١١٣٧-١١٨٠

لم يكن هذا موفقا في حكمه لارتكابه عده اخطاء أعاقت تقدم الملكية وذلك لاشتراكه في الحملة الصليبية الثانية التي لم تجن فرنسا منها سوى الهزيمة والخسائر. الفادحة وكذلك لخسارته لإماره اكويتين عَلَى اثر طلاقه الينور التي

تزوجت من خصمه الثاني ملك إنكلترا اعتمد في سياسته الخارجيه عَلَى سوجيه ايضا ونظرًا لمواهب هذا السياسي وأهميته في تاريخ فرنسا يجدر ان نلم بشيء من حياته ينتمي سوجيه الى عائله دينيه تثقف ثقافه دينيه وأصبح رئيسا لدير القديس اما اتصاله بأسره المالكة فكان عن طريق المدرسة حيث نشأت صلات وديه بينه وبين لويس لسادس اثناء الدراسة في الدير المذكور وأظهر سوجيه برأته إدارية فائقة عندما اصبح وزيرا لكل من لويس السادس ولويس السابع وعبر عن إخلاصه في الحكم في شتى المظاهر اذ قيل عنه انه يسدد نفقات الدولة عَلَى حسابه الخاص وَمِمَّا يذكر عنه معارضته لاشتراك ملك فرنسا في الحمله الصليبيه الثانية ونظرًا لإصرار الملك عَلَى قيادتها فقد اظطر سوجيه عَلَى الموافقة وتسديد القسم الأكبر من نفقاتها ثم عارض في قضيه طلاق الملك لزوجته الينور معتبرا ذلك خساره لا تعوض لفرنسا ولم يتم الطلاق فعلا الأبعد وفاه ذلك الوزير

وبالرغم من الانتكاسة آلتي مني بها لويس السابع في حملته الصليبية الثانية وخسارته لدوقيه اكويتين الا ان المؤسسة الملكية لم يتعرض لها الوهن ويعزى ذلك الى حد ما بذله سوجيه من جهود والى حوادث عرضيه قام بها لويس السابع. منها ان الأخير أدى خدمه الى البابا الإسكندر الثالث في وقت محنته مع فردريك بربوسيا امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وبذلك فقد عمل عَلَى تقويه الروابط التقليدية بين الكنيسة والعرش وأصبح رجال الدين خير عون له في فرنسا في تثبيت ملكه وهناك يعظ الاتجاهات العامة في المجتمع الفرنسي التي ساعدت عَلَى تقويه المؤسسة الملكية في عهد لويس السابع اذ اخذ الاقطاعيون الصغار أو النوافذ عَلَى الهيئات الملكية متنازلين عن قسم من ممتلكاتهم وسلطاتهم الفعلية الى للحكومة المركزية لقاء حمايتهم من جور النبلاء الأقوياء كما أصبحت المحاكم الملكية تجتذب المتخاصمين لنزاهتها وسطوتها وأخذت تحل تدريجيا محل المحاكم

الإقطاعية وهناك ايضا التقارب بين المؤسسة الملكية وسكّان. المدن في الأوقات التي تلتقي فيها مصلحه الطرفين ضد أمراء الإقطاع.

فيليب الثاني ١١٨٠-١٢٢٣.

بذل فيليب الثاني الملقب بأغسطس جهوده لجعل الإدارة الحكومية الملكية تحقق العدالة للسكان وتبعدهم عن الإدارات الإقطاعية توج هذا ملكا ووالده عَلَى قيد الحياه ونهض بأعباء الحكم وله من العمر اربع عشره سنه ومن أوائل اعماله التي ساعدت عَلَى اشتداد الملكية زواجه من وريثه اماره أرتوا وكذلك احياء الإمارات الإقطاعية العائدة للعائلة المالكة في مناطق اخرى من اجل توسيع رقعه المناطق التي كانت تحت حكمه مباشره لهذا شهد حربا مع أمير فلاندرز بحجه استعاده حقوق زوجته في تلك الأمارة وظم فعلا اجزاء مهمه منها الى املاك التاج. ثم استغل النزاع بين اولاد هنري ملك انكلترا وابيهم لإضعاف الملك الانكليزي والاستيلاء عَلَى بعظ الأجزاء من ممتلكاته في فرنسا ومن اهم المعارك التي خاضها الفرنسين في هذا الشأن معركه بوفين سنه ١٢١٤حيث انتصر فيها عَلَى جيوش الملك جون اعتمد في سياسته الإدارية عَلَى طبقه من الموظفين تدعى بايي يعينهم الملك مباشره وقام بدفع رواتب شهريه لهم وحلت تلك الطريقة محل النظام القديم الذي اعتمد عَلَى الموظفين الوراثيين المشار لهم وعلى هاذا الأساس يعتبر فيليب اغسطس من أوائل ملوك فرنسا الذين ساهموا في خلق جهاز الخدمة المدنية واهتم ايضا في الجباية اذا اصد اوامره بضرورة استحصاله لا موال الدولة بدلا من استيفائها بشكل خدمات او مدفوعات نوعيه وشجع المدن الناشئة بمنحها امتيازات إدارية متنوعه اما سياسته الإدارية تعتبر انقلابا او ثوره عَلَى الأساليب الحربية القديمة حيث آمر بتشكيل الجيوش المركزية من الجند الأجير لتحل محل

الجيوش الإقطاعية ومن مشاريعه الحربية اشتراكه في الحملة الصليبية التي دعا اليها البابا أنوسنت الثالث ضد الالبجنسين في جنوب فرنسا.

لويس الثامن ١٢٢٣-١٢٢٦

يمتاز حكمه بأمرين هامين الاول احتفاظه بالجهاز الحكومي الذي خلفه والده والعمل عَلَى تقويته ومن الأساليب التي ابتكرها هُو نظام التطهير الحكومي وذلك بالاستغناء عن الموظفين المرتشين والمتهاونين للمحافظة عَلَى سمعه الإدارة الملكية وكفاءتها والثاني مساهمته في الحرب الصليبية ضد فرقه الالبجنسين وحصل بذلك عَلَى مناطق غنيه في الاقسام. الجنوبية هنري بيرين سياسه لويس الثامن التوسعية باسم الدين بسياسه كلوفس الادعائية ضد مملكة الغوط الغربين في جنوب فرنسا وقد مات لويس الثامن مجاهدا في سبيل الكنيسة في حملته تلك.

لويس التاسع ١٢٢٦-١٢٧٠

كان في عمر الثالثة عشر من وفاه والده فتولت امه بلانش الوصاية عليه ينه ١٢٢٦-١٢٣٥ فأحكمت تربيته من ناحية دينيه ولقب بالقديس لتدينه وولائه في سبيل الكنيسة وكثير ما يرى وهو يغسل اقدام المرضى والفقراء تقربا الى آللهّ وقد تجرأت عليه احدى النساء محتاجه عَلَى تصرفاته الدينية تلك بقولها انه من الاولى ان يكون غيرك ملكا عَلَى فرنسا لان ملك الفرنسكان والدومنيكان لا ملك الفرنسين انه أمن العجيب حقا انه لم يخلعك الفرنسين لحد الان فأجابها بكل هدوء(قلت حقا لم أكن لاستحق هذا العرش ولو لطف بي

الرحمن لجعل غيري يحكم فرنسا بشكل افضل) وبالرغم من تدينه لم يفرط في حقوق المؤسسة الملكية لصالح البابا ومع ذلك فقد يلام من قبل البعض لإدخاله محاكم التفتيش الى فرنسا لقد ازدادت المؤسسة الملكية مناعة في عهده وخاصه عند انتصاره عَلَى التحالف الاقطاعي العسكري حيث تألب عليه كل من أمراء فلاندرز وبريطاني وبرغندي وكاسكوني ولاندكوك سنه١٢٤٢ وتمكن من تشتيتهم في سينتز وتعتبر تلك الحادثه اخر محاولات الاقطاعيين المستهدفة السيطرة عَلَى المؤسسة الملكية في فرنسا. ومن اهم التطورات القضائية في عهده تكوين برلمان باريس وهذا عباره عن مجلس قضائي وليس له شبهه بالبرلمان الانكليزي وهو مجرد محكمه عليا تنظر في كافه الدعاوي المرفوعة اليه من المناطق الإدارية الملكية وقد تكون في كل منطقه إدارية في ما بعد محكمه قضائية ملكيه يشار لها بالبرلمان أيضا الا ان محكمه باريس العليا بقيت ولها القول النهائي في الأمور القضائية وبقي برلمان باريس فعالا في تاريخ فرنسا حتى الثورة الفرنسية سنه ١٧٨٩ .قاد لويس حملتين صليبيتين الاولى سنه ١٢٤٩ وتمكن بها من احتلال دمياط وتقدم بالزحف نحو القاهرة الا ان الجيوش الحربية ردته عَلَى اعقابه وتمكنت من تأسيره ولم يطلق سراحه الا بعد قبوله الشروط المصرية المتضمنة الانسحاب من دمياط ودفع الفدية ومع ذلك فقد واصل سبيله الْى الأراضي المقدسة حيث مكث في عكا حتى سنه١٢٥٣وقد ناشد المغول مرتين لاستعدائهم علو الديار الإسلامية الاولى كانت في سنه ١٢٤٩والثانيه١٢٥٣ولم تأت المحاولتان بنتائج ايجابيه مباشره ١٢٧٠لتأثيرات أخيه ملك الصقليين شارل الايخوى وقد توفي لويس اثناء حصاره لتونس.

فيليب الثالث ١٢٧٠-١٢٨٥

كان أقوى ملك في اوروبا آنذاك ويرجع ذلك الى الخطة الحكيمة التي اتبعها والده الا انه كان الى حد ما تحت تأثيرات عمه شارل الايخوي وقد ازدادت املاك التاج في عهده بوراثه والمصاهرة اذ ورث بواتيه وطولوز وزوج ابنه من وريث مملكة نافاز ودوقيه شامبين اشترك في الجهة العسكرية البابوية ضد الاراكون حول العرش الصقلي غير ان الجيوش الإسبانية الاراكونيه تمكنت من دحر جيوش فيليب الثالث الذي توفي اثناء الانسحاب.

فيليب الرابع ١٢٨٥ -١٣١٤

يعتبر هذا من ملوك فرنسا الانتهازين المؤمنين بأن الغاية تبرر الواسطة ويشير البعض الى انه كان مضطرا لاتباع ذلك الأسلوب تعزيزا لمركزه وان الاعمال التي قام بها استهدفت خدمه المصالح الفرنسية لقب فيليب الرابع بالجميل الحسن محياه هدف من وراء سياسته الى فرض السلطة المركزية عَلَى كافه الفئات والمؤسسات في بلاده واراد ان يجعل الاقتصاد الفرنسي معتمدا عَلَى التجارة والصناعة لأضافه الى الزراعة وان يَصْل بفرنسا الى حدودها الطبيعية اعتمد في ادارته عَلَى فقهاء القانون أمثال بير فلوت ونوكاريت وكان كل منها لْ "Ñøيتحرج من اتباع إي أُسلوب سياسي في خدمه الملك مهما كان متعارضا مع الفضيلة والعرف وتمكن فيليب بمساعده هذين السياسيين من فرض المحاكم الملكية عَلَى الاقطاعيين وأخطاهم والانتصار عَلَى البابوية وجعل البابوات أشبه بالأسرى في فرنسا في الفترة المسماة بالأسر البابلي ١٣٠٥-١٣٧٧.

يفسر البعض سياسته الاعتدائيه تجاه البابوية وفرسان المعبد واليهود باحتياجه الدائم الى الأموال في مشاريعه التوسعية اذ امر الاقطاعيين بإيفاد ما عليهم من

تعهدات نقدا للتاج وكثيرا نا لجأ الى التلاعب بالعملة من اجل تلافي نفقاته كما امر بطرد اليهود سنه ١٣٠٦مرظاه للرأي العام الكاثوليكي ظاهريا والاستيلاء عَلَى ثرواتهم باطنيا ثم صادر املاك فرسان المعبد سنه١٣٠٧وامر بطرد رجال المصارف المالية من الإيطاليين سنه ١٣١١.

ولعل من اهم أعماله الإدارية دعوته لطبقات الشعب الثلاث من

200رجال الدين والنبلاء وممثلي المدن سنه١٣٠٢ ودعي ذلك المجلس بمجلس الطبقات وهكذا أصبحت الطبقة المتوسطة معترفا بها لأول مرا في حياتنا من ناحيه سياسيه ولغايه الأساسية من عقده ذلك المجلس كسب تأييد الشعب في نضال فيليب الرابع ضد البابا يونيفس الثامن وكذلك لفرض الضرائب وبالرغم مما يذكر عن فيليب الرابع من سياسه انتهازية فهو من مكوني فرنسا الحديثة اذ أصبحت الحكومة الفرنسية في أراضي التاج من ألقوه والمنعة بمكان كبير ولم يعد بمقدور الاقطاعيين تحدي الملك بتلك السهولة وأخذ ينظر الى الملكية في عهده بأنها مصدر القانون والعدالة ان هذه النظرة الفقهية ماهي الا تقليد روماني واحياء لمفاهيم القوانين الرومانية التي تعتبر رئيس الدولة رمز العدالة ومصدر السلطة وبعل من ابرز فقهاء القانون في عهده هو بيبر ديرا ١٢٣٥-١٣١٢ الذي كان من أعضاء مجلس الطبقات وجاء هذا بآراء ثوريه بنسبه لعلاقه الدولة بالكنيسة اذ قال بتفوق الاولى وأشار أيضا الى مساواه المرآه مع الرجل والى ضرورة سياده فرنسا عَلَى القاره الأوربية وله آراء فريده في كيفيه استعاده الاراضي المقدسه